Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والإحكام التقنى المسيطر عليها قبل أن تترجم إلى لغة هذا الوسيط المدهش «التليفزيون» الذى يوسع دائرة التلقى من الآلاف المحدودة إلى الملايين المفتونة، بما يجعل المشاهدة طقسا اجتماعيا عظيم الفعالية والتأثير مقارنة بالقراءة التى تعودنا عليها ونعمنا زمنا طويلا بها، دخلت المشاهدة لتمحو أثر الأمية فى تعويق التذوق الإبداعى، ولتصنع المركب الفنى الحديث المعجون بالأدب والموسيقى والتمثيل والتشكيل فى متناول جميع الناس دفعة واحدة فى الوقت ذاته منفردين أو مجتمعين منزليا.

ولكن هذه المشاهدة لابد أن تفرض طبيعتها على العمل ذاته، وذلك بتخريجه من ذاكرة الراوى كمجموعة من الخواطر المنهمرة والأفكار التأملية المتدفقة ووضعه أمام عين الكاميرا لتلتقط وجوده الموضوعى المتعين عندئذ تتم إزاحة الذاكرة بتداعياتها وتسرباتها، باستطراداتها وألوانها الشخصية وكلماتها الحميمة لتوضع الآلة مكانها ويتم استحضار الأشياء والأشخاص وتحريكها حتى تصنع أحداثا « تقع الآن» وليس فى الماضى، بما يغير المنظور والمذاق، ويعطى رؤية مخالفة تماما لما كانت تعطيه اللغة الهاربة فى طيات الزمن والمقتنصة لفرائده، عندئذ تكتسب هذه الأحداث ثقل الوجود المرئى وتحتل بؤرة الواقع الخارجى بدل أن تكون متخيلا شفيفا مراوغا مفعما بروح الشعرية اللغوية.

ولما كانت الأحداث فى الرواية مروية بلسان الصبى الذى أصبح «حسن» فى المسلسل فإن طابع الطفولة المندهشة اللاقطة كان هو المسيطر على منظور الراوى، ولأن الكاميرا ــ ومن يقفون وراءها ـ لا يمكن لهم الحفاظ على هذا الطابع فإن عجينة الأحداث قد أصبحت منقوعة بمرارة الكبار ومصبوغة بألوانهم، مما يجعلها محددة واضحة من ناحية ومفرغة من عذوبتها الطفولية من ناحية أخرى، ولعل العنوان هو الذى يمثل قسوة هذا التحول، فعندما كان يقول الراوى «خالتى صفية» مع أنها لاتكبره إلا بعدة سنوات وتمثل نموذج الفتاة الناضجة الحسناء بالنسبة له، حتى يقع فى حبها بنفس الطريقة الأليفة التى يحب بها « فاتن حمامة» فيستشعر فى قربها حنانا غامرا ودفئا عاطفيا وديعاقبل أن يغير الحقد سحنتها،